

السياحة والتراث الشعبي

بن عبد الله نور الدين

ملحق بالحفظ والإصلاح بديوان حظيرة الأهقار الوطنية

الملخص:

تعالج هذه الدراسة في شقيها الأول مصطلح السياحة. السياحة الدينية والاقتصادية والسياحة العلمية والثقافية السياحة بمفهومها العام والتي يقصد بها تشبع الروح من خلال ما تقدمه له الطبيعة والتراث الثقافي والحضاري، والذي يعد جزءا من ثقافة المجتمع والأمة.

Résumé :

Le sujet traite essentiellement dans sa première partie l'aspect étymologique du terme «Tourisme» et ceci dans plusieurs paramètres :

Le tourisme religieux-Le tourisme économique- tourisme scientifique et culturel.-le tourisme dans son sens large , qui comprend la jouissance de l'ame dans ce que lui offre à la fin la nature et le patrimoine culturel et civilisationnel .

Le patrimoine populaire est mis en évidence dans toute sa composante , c'est une partie intégrante de la culture d'un peuple ou d'une nation . Cette culture est mis en évidence par de différentes définitions , qui par son biais , elle incarne un receptacle des influences endogènes et exogènes . Le tourisme trouve sa raison d'être dans ce patrimoine culturel .

المدخل:

إن الجزائر بتراتها الثقافي المتنوع بتنوع مناطقها ، والذي ارتبط بحلقات حضارية متتالية ومتنوعة بدءا من حضارات ما قبل التاريخ ووصولاً إلى الحضارة الإسلامية مروراً بالحضارات القديمة الشيء الذي أفرز لكل منطقة نمطها المميز لها عبر العصور وإلى الوقت الحالي ، إذا فالجزائر تعتبر وعاءاً حضارياً ثرياً يمثل ندرة في التراث العالمي. إلا أن هذا التراث يعرف نوعاً من اللامبالاة وللإحساس بالإنتمائية لا من قبل السلطات من حيث سن القوانين المنظمة والداعية لحماية هذا التراث ولكن من قبل الفرد المستغل لهذا الإرث الحضاري إذ يبقى السؤال الذي يفرض نفسه هو كيف يمكن لنا أن نفرس حس الاهتمام بالتراث في الفرد الجزائري وخاصة المستغل له كمادة تجارية ؟ .

وهل تعمل السياحة كنشاط تجاري على تربية هذا الحس في الإنسان ، حيث يعمل على الحفاظ على هذا الموروث من الضياع انطلاقاً من كونه جزءاً منه ؟ .
لأن هذه الأخيرة تعد من النشاطات ذات الصبغة التجارية والعلمية أو الثقافية على حد السواء ولهذا يفترض على القائمين على هذا الميدان التحلي ببعض الميزات الهامة، لضمان حسن تقديم هذا المنتج الثقافي إلى السائح في أرقى معانيه .
وفي إطار هذه الفعاليات سنحاول تسليط الضوء على موضوع هام أسيء استعماله انطلاقاً من عدم فهم أهميته، حيث يتمثل في "مكانة التراث الشعبي في النشاط السياحي" .

ولهذا الغرض حاولنا تقسيم الموضوع إلى عناصر هامة سنعرض إليها لاحقاً.
إن أول ما سنحاول التطرق إليه هو إعطاء مدلول لمفهوم السياحة لغة واصطلاحاً.

السياحة لغة : هي الضرب في الأرض حيث أشتقت من سبىح الماء وسيحانه، وساح يسبىح سبىحا وسيحانا إذا جرى على وجه الأرض .
والسياحة هي الذهاب في الأرض للعبادة والتزهى، وساح في الأرض يسبىح سياحة وسيوحا وسيحانا أي ذهب في الأرض⁽¹⁾
وقد ورد ذكر لفظ السياحة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها :
في سورة التوبة الآية "01-02" "براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر..." .

السياحة اصطلاحاً : فهي عملية السفر والترحال من مكان لآخر بقصد الترفيه أو لغرض آخر سواء كان علمياً أو دينياً وقد عرفت حركة الترحال منذ القديم وهو ما أفرز لنا عدة أنماط من السياحة نذكرها باختصار:

- السياحة الدينية: وتعني قصد زيارة بعض الأماكن قصد تأدية شعيرة دينية كفريضة الحج مثلاً .

- السياحة التجارية: وتعني عملية السفر بقصد التجارة مثل ما عرف عند العرب قديماً برحلة الشتاء والصيف إلى الشام واليمن .

- السياحة العلمية أو الثقافية : وهي عملية السفر إلى بعض البلدان قصد إجراء بحوث علمية في شتى مجالات العلوم التي تعود بنفع على صاحبها أو على البشرية عامة.

- السياحة الترفيهية : وتعني السفر والتجوال بقصد الترفيه عن النفس والمتعة الحسية.

ورغم أن التراث الإنساني بصورة عامة يجب أن يكون أحد المحاور الأساسية لدى الإنسان في إطار البحث عن الذات من خلال التمتع بالسياحة في التاريخ البشري ، إلا أن الرغبة في الاستمتاع الحسي طغت إلى حد كبير على رغبة السائح . حتى أن نصيب السياحة الثقافية لا يمثل إلا جزءاً ضئيلاً من نصيب السياحة العالمية الأمر الذي حذى معظم الدول المعنية بمقومات السياحة إلى الاهتمام بالسياحة الترفيهية توافقا مع رغبة الغالبية العظمى من السائحين وحفاظاً على استمرارية الصناعة السياحية ، ولتدعيم حركة السياحة الثقافية علينا أن نسعى للحفاظ على تراثنا الثقافي وذلك من خلال عدة إجراءات أهمها :

1- توعية مستعملي هذا المنتج الثقافي بأهميته كإرث حضاري يعبر عن الانتماء الذاتي والشخصي .

2- تكثيف الحملات الإعلامية للتحسيس بأهمية الموروث الثقافي كمادة علمية إعلامية بقصد التسلية .

3- إقامة المهرجانات والملتقيات الخاصة بهذا الإرث بما يناسب قيمته العلمية .

4- التعاون بين الأجهزة المسؤولة عن قطاع السياحة والثقافة لإبراز التراث كقيمة حضارية ذات جذب للزائر .

5- التطوير والتحديث الدائم في عرض المنتج الثقافي بالشكل الجمالي اللائق وبما لا يغير من ملامح البيئة الأصلية له .

ترتكز الثقافة الشعبية أو الجماعية على علاقة الإنسان بالمجتمع وتفاعله مع البيئة التي تحيط به . وعليه إن حياة الإنسان أخذ وعطاء وتبادل ومشاركة الأمر الذي يجعله مضطراً إلى التوجه نحو الغير ليلبغ أقصى درجة ممكنة من الإبداع⁽³⁾.

فالثقافة الشعبية هي حكمة الشعوب ومشاعرها وتجلياتها وفنونها وتقاليدها وعاداتها وقيمها الأخلاقية ومعتقداتها ، والمعبرة أصدق تعبير عن غمط معيشتها وما طرأ عليه من تطورات وما أصابه من تأثيرات مختلفة كما يمكن أن تعبر عن نواة شخصية الشعوب .

* مفهوم التراث الشعبي :

لقد اختلف في وضع تعريف محدد للتراث الشعبي أو الفلكلور ، وذلك نظراً لحدائته كموضوع من موضوعات العلوم الإنسانية وكموضوع للدراسة والبحث في الوقت ذاته ، ولعل من أهم الصعوبات التي واجهت المختصين في تحديد مفهوم هذا العلم الإنساني هو إسمه "التراث الشعبي أو الفلكلور" الذي يتضمن معنيين متداخلين يتطلبان الفصل والتوضيح منذ البداية⁽⁴⁾.

- المعنى الأول: يخص موضوع هذا العلم وعناصره ومجالاته .

- المعنى الثاني: يتعلق بالعلم ذاته وقواعده وأصوله العلمية كفن من فنون المعرفة الإنسانية ينشد الاستقلال كبقية العلوم ولذلك اقتضى الأمر بداية الفصل بين مصطلح الفلكلور كعلم ومصطلح الفلكلور كمادة وموضوع للبحث والدراسة لهذا العلم ، فأول من حاول الفصل بين المصطلحين هم العلماء الألمان الذين أطلقوا اسم "الفلكسكندة" Volkskund على الذي يدرس بواسطته التراث الشعبي . يختلف عناصره وإسم "الفلكلور" على التراث الشعبي المنقول شفاهة والمتكون من العادات والتقاليد والمعتقدات والموسيقى والرقص والأدب الشعبي بكل صنفه . ويضيف العالم الفرنسي "هنري جايدو" أن علم الفلكلور يعني "بدراسة كل ما يتصل بالتراث الشفاهي من عادات وتقاليد وخرافات وأدب شعبي بهدف إرجاعه إلى كنهه"⁽⁵⁾.

* عناصر التراث الشعبي :

للتراث الشعبي عناصر نلخصها فيما يلي :

أ - المعتقدات والمعارف الشعبية: ويقصد بها كل الأفكار التي يؤمن بها الشعب والمتعلقة بتفسيراته لما وراء الطبيعة والعالم الخارجي والتي تكون نابعة من نفوس أبناء الشعب أو أنها كانت معتقدات دينية ثم حرفت مع مرور الزمن والتي قد تدخل في باب البدع الدينية .

ب - العادات والتقاليد الشعبية: حيث تعتبر من أكثر عناصر التراث الشعبي انتشارا وأكثر حظوة بالدراسة كما أن العادات تتميز ببعض الصفات ⁽⁶⁾ هي :

- 1- الصفة الاجتماعية : كونها تصدر عن تفاعل مجموعة من الأفراد .
- 2- الصفة المعيارية : أي أن العادة تتسم بطابع معياري يفرض الامتثال لها كالقانون والعرف .
- 3- الصفة الوراثية : فهي متوارثة جيلا عن جيل .

ج - الثقافة المادية والفنون الشعبية :

- الثقافة المادية: وتشمل التقنيات والمهارات المتوارثة مثل الحرف والملبس والصيد إلى غير ذلك من التقنيات .

- الفنون الشعبية: ويدخل في ذلك "الموسيقى الشعبية -الرقص الشعبي -فنون التشكيل الشعبي (كالوشم وتزيين الحلي والأدوات الفخارية والعمارة الشعبية) .

د - الأدب الشعبي:

ونقصد به المخزون الموروث من الشعر والأسطورة والحكاية واللغز والمثل والحكمة ، إلى غير ذلك .

* أهمية التراث الشعبي كمنتوج سياحي:

بعدما تعرفنا على مفهوم السياحة وأنواعها ، ومفهوم التراث الشعبي وعناصره ، يبدو جليا أنه لا من أحد ينكر أهمية التراث الشعبي في النشاط السياحي ، أو بصيغة أخرى أهميته كمنتوج سياحي . وهو ما يفرض علينا أن نتساءل عن هل أننا نحس بانتمائنا لهذا الموروث الشعبي الثقافي ؟ أم أننا نتخذة وسيلة للتسلية فقط، وكيف تعمل السياحة كنشاط على المحافظة واستمرارية هذا الإرث ؟ . فقد أولى علماء النفس والأنثربولوجيا أهمية بالغة للتراث الشعبي في دراسة الشخصية القومية للمجتمعات وذلك من خلال تصنيفها حسب مواضيع الدراسة وتحليلها لاستنتاج الحالة النفسية والسمات الشخصية القومية للمجتمعات ، وذلك من خلال ثلاث اتجاهات : (7)

- الاتجاه الأول: يخص الدراسات التي قام بها رواد التحليل النفسي أمثال "فرويد ويونج" وتشمل تلك البحوث على كمية واسعة من الأساطير والحكايات الشعبية في العالم .

- الاتجاه الثاني: يهتم بدراسة مادة التراث الشعبي في الثقافات المختلفة بهدف المقارنة وتحديد أوجه التشابه والاختلاف في الموضوعات التي تتضمنها تلك المادة للوصول إلى تحديد مدى انتشار الترابطات بين الموضوعات والأنماط الثقافية المختلفة .

- الاتجاه الثالث: ويهتم بدراسة مادة الأدب الشعبي لأي مجتمع وتحليل المضمون للوصول إلى معرفة السلوكيات الاجتماعية وتحديد السمات الشخصية القومية .
وعليه فإن التراث الشعبي يعد مادة دسمة بالنسبة للسائح سواء الأجنبي أو الداخلي، وذلك إما من جانب الدراسة العلمية أو من جانب الترويج عن النفس ، لأن التراث الشعبي يتضمن الميزتين معا .
ولهذا الغرض تسعى جل الدول المهتمة بقطاع السياحة إلى العمل على الترقية والمحافظة على تراثها الشعبي ، وذلك من خلال ما تقيمه من مهرجانات تراثية وملتقيات علمية تبين أهمية الموروث الشعبي، إضافة إلى استحداث ما يضيف جمالية على النوع الثقافي دون أن يغير من طابعه الأصلي
وعلىنا إذا أردنا المحافظة على تراثنا الشعبي ، أن نوليهِ شيئا من الاهتمام من الناحية العلمية والدراسية قصد تدوينه، وأن يستغل كمادة إعلامية إشارية تنقص من مضمونه الثقافي ، ولهذا فعلى المتهنين للنشاط السياحي أن يتحلوا ببعض الميزات نذكر منها :

- المعرفة الأولية لبعض المعلومات الخاصة بالتراث الشعبي .
- أن يعوا بأنه جزء من الذاكرة الشخصية والقومية .
- أن يحترموا زمكانية الموروث الشعبي.

الهوامش

- (1) ابن منظور: لسان العرب ، المجلد الثالث ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة 1997 .
- (2) أحمد بن نعمان: "سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية" م.و.ك. الجزائر سنة 1988، ص: 88 .
- (3) أحمد بن نعمان: المرجع السابق ، ص: 61 .
- (4) أحمد بن نعمان: "سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية" ، ص: 313 .
- (5) محمد الجوهري: "علم الفلكلور" . القاهرة ، دار المعارف . ج 01 ، سنة 1981 .
- (6) أحمد بن نعمان: نفس المرجع السابق ، ص: 316 .
- (7) الصفة الزمكانية: وهي أن العادة ترتبط بزمان ومكان معينين لحدوثها، كمناسبات زيارة الأضرحة.
- (8) أحمد بن نعمان : نفس المرجع السابق . ص: 321 .